مصلحة الآثار المصرية

ودار الآثار المصرية وتاريخ انشائها

للدكتور حسن كمال

حدث في ربيع سنة ١٨٥٧ ميلادية ان الامير نابوليون ابن عم الامبراطور نابوليون الثالث امبراطور فرنسا وقتئذٍ وصل الى وطنه حديثاً من رحلة بالقطب الشمالي . وكان محبوه كثير الحركة قليل القناعة فكان قلقهُ مدعاة لقلق عمه واحراجه كثيراً . وناق محبوه يوماً ما الى الذهاب في رحلة الى الشرق فقوبلت هذه الرغبة بكل وسائل التشجيع والتسهيل . وكان الارشيدوق ماكسمليان قد سبقهُ في رحلة الى مصر واحضر معهُ آثاراً نالت اعجاب اهل وطنه . فصمّم محبو الامير نابوليون ان يقوم برحلة يفوق عمل الارشيدوق ماكسمليان . فأرسلت افادة بذلك الى محبوّ والي مصر سعيد باشا الذي قرّر ان يقابل بكل وسائل الاكرام

عندئذٍ اشار (ديلسبس) على محبو الوالي ان يبعث في طلب انتداب الاستاذ (ماريت) من فرنسا لمدة ثمانية اشهر فقط وذلك في اكتوبر سنة ١٨٥٧ . فحضر (ماريت) الى مصر فسافر في النيل يبحث في الوادي عن الآثار ويدفن ما يعثر عليه بالتالي في محله حتى يجيء الامير نابوليون كي لا يتجشم هذا الاخير مشقة الحفر والتنقيب

بعد ذلك بقليل وصل الى القاهرة الاستاذ (هينرخ بروكش) الالماني . ورغبةً في عدم ضياع الوقت ذهب (ماريت باشا) وقابل الاستاذ (بروكش باشا) في محطة السكة الحديد وطلب منه إعداد نفسه بأسرع ما يمكن كي يشترك معهُ في الحفريات المطلوب القيام بها

وقد افاض علماء الآثار في شرح هذه القصة بعبارات شتى المتباينة . نخص بالذكر منهم (ماسبرو) و (دي مرجان) و(دي روجيه) و (بروكش) وذلك في عدة مجلات اثرية ليس هذا مقام شرحها

وبدأت الحفريات في الجيزة وسقارة والعرابة وطيبة (الاقصر) وجزيرة الفيل باسوان وعثر على مقادير كبيرة من الآثار وقتئذٍ . واستمر العمل سائراً بنجاح من كل الوجوه الا وجه واحد وهو مجيء الامير نابوليون الذي اعتذر عن الحضور الى مصر «لاسباب هامة» . وفي ٨ يناير سنة ١٨٥٨ ورد نبأ الى (مريت) من فرنسا يطلب رجوعه اليها ولسلمه اعماله في متحف اللوفر

عندئذٍ صمم (ماريت) ان يؤسس لهُ مستقبلاً بمصر . فارسل الى الامير نابوليون انهُ يمكنه ان يحضر معهُ مجموعة اثرية لسموه اذا تفضل سموّه ومكّنه من تأخير عودته الى فرنسا . فأتى

اليه الردّ من سكرتير سموه المدعو (فرّ يزاني) بأن سموه يكون شديد الامتنان اذا تكرّم (ماريت) من احضار « بعض حليّ وتماثيل صغيرة وقطع من الفنون المصرية الجميلة مع بيانات بطريقة العثور عليها » فاخذ (ماريت) ما يعتبره موافقاً لذوق سموّ الامير نابوليون الملقّب وقتئذٍ بلقب (پلون پلون). ولما وصلت الهدية الثمينة الى الامير المذكور رشّح (ماريت) مأموراً للآثار المصرية وذلك بعد مضي بضعة اشهر

هذه باختصار قصة انشاء مصلحة الآثار المصرية وظهورها في عالم الوجود. ومن اهم ما عثر عليه وقتئذٍ تابوت الملك (كامس) فقد اكتشفه (ماريت) و (بروكش) في ديسمبر سنة ١٨٥٧ في حفرة جهة (دراع ابي النجا). فلما رآه (ماريت) ظنه لا يروق في عين الامير (نابوليون) فأبقاه في مصر حتى حفظ بدار تحف القاهرة. اما جثة الملك فكانت في حالة تحلل تام. حتى انها تفتّتت بمجرد فتح التابوت. ووُجِد مع الجثة باطة وتمثالان لاسدين وخانة ملكية ارسلت جميعها ضمن الهدية المقدمة الى الامير (نابوليون). وهي الآن في دار تحف اللوفر بفرنسا

و (كامس) هذا حكم القطر المصري في القرن السادس عشر قبل الميلاد ولما توفي دفن باهرامه بالساحل الغربي بالاقصر. وقد كافح الهيكسوس كفاح المستميت وبعده اتت الاسرة الثامنة عشرة وحكمت القطر بصولتها وجبروتها ثم تلتها الاسرة التاسعة عشرة بعزها وجاهها. بعد ذلك اخذ القطر في الاضمحلال وبدأت ايدي اللصوص تعبث بعدائن فراعنة مصر الاقدمين قصد اقتناص الحلى والادوات الثمينة التي اعتاد القوم ان يدفنوها مع ملوكهم كما هي الحال مع (توت عنخ امون)

وورد بقرطاس (ابوت) التاريخي ان البوليس المصري القديم فتش قبر الملك (كامس) وقتئذٍ ووجده سليماً. لكن وقع على اثر ذلك ان ازداد اللصوص اجماماً في سرقة المقابر الملكية. فخاف القوم على جثث ملوكهم واخذوا ينقلونها من مقابرهم ذات المعالم الواضحة الى حفر مختبئة معلومة الدلائل والقرائن. فكان من حظ الملك (كامس) المذكور ان نقل من قبره العظيم الى حفرة صغيرة اسفل (دراع ابي النجا) وهناك بقيت جثته مع تابوتها وبعض ممتلكاتها حتى ديسمبر ١٨٥٧ ميلادية لما اكتشفها (ماريت) و (بروكش) بالطريقة السابق شرحها

دار الآثار المصرية

والآن وقد ألمعنا سابقاً الى تاريخ انشاء مصلحة الآثار المصرية ننتقل بالقارىء الى تاريخ انشاء المتحف المصري فنقول ان (ماريت باشا) بدأ المتحف المصري عام ١٨٥٧ ميلادية (بديكر عن مصر) بحي بولاق. واول دليل وضع لهذا المتحف كتبه ماريت عام ١٨٦٤ تحت عنوان Les principaux monuments du musée de Boulacq. وفي سنة ١٨٨٣ وضع الاستاذ ماسپرو دليلاً ثانياً. وبعد الاحتلال الانكليزي للقطر بمدة يسيرة نقل المتحف من بولاق الى سراي الخديو اسماعيل باشا بالجيزة وبقي هناك حتى ٩ مارس سنة ١٩٠٢ لما بدىء في نقل محتوياته الى المتحف الحالي بقصر النيل

العالم الأثري المصري المغفور لهُ
احمد كمال باشا

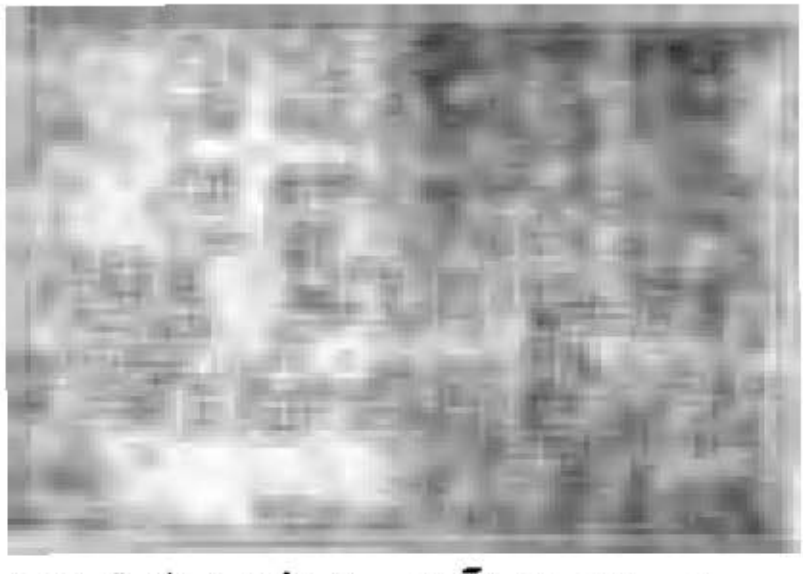

رسم الدور الارضي لدار الآثار المصرية في الجيزة وهي الدار التي تقدمت
دار الآثار المصرية الحديثة في قصر النيل

لوحة تمثل الملك اخناتون يعبد الشمس

رأس مومياء رمسيس الثاني

ونم نقل المتحف في ١٣ يوليه سنة ١٩٠٢ وكان كلما نُقل أثر وضع في المحل المعد له حتى اذا ما استهل شهر اغسطس صار متحف القاهرة الجديد مستعداً لدخول المتفرجين . الاّ ان اصلاح الانصاب والقواعد والحيطان عقب ما اصابها من التخديش الناشيء عن نقل الآثار كان مانعاً لذلك . فلما انتهى هذا الاصلاح فتح المتحف في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٢ (راجع مقدمة دليل متحف القاهرة سنة ١٩٠٣) واعدت أبهاؤه لمن اراد التفرج عليها

واول مدير (مأمور) لمصلحة الآثار كان بطبيعة الحال (اوجست ماريت) (١٨١٢ — ١٨٨١) . ثم اتى بعده (جريبو) و (دي مورجان) و (لوريه) و (ماسبرو) و (لاكو) . ويرجع الفضل في اكبر توسعة لمتحف هذه الدار الى عهد جاستون ماسبرو الذي توفي عام ١٩١٦ ميلادية . ولعل اهم كنز أري عثر عليه في الآثار المصرية كلها بما في ذلك الحديث هو المومياات الملكية — او جثث فراعنة مصر — الذين دوخوا العالم واعلوا منزلة مصر حتى بلغت عنان السماء . والى هذا الكنز يرجع الفضل الاكبر في تعرف العالم الحديث بالقديم . لان الروايات الاثرية والقصص التاريخية التي كانت معروفة عند هؤلاء القوم لم تقدر حق قدرها ولم تصبح لها منزلتها العالية الاّ بعد ما شاهد اهل هذا العصر وجوه حكام تلك الازمنة ولمسوها بأيديهم . فكان هذا الاكتشاف كرميض البرق في الدجى الحالك يكشف عن مئات من المعالم كانت مختبئة تحت جنح الظلام الدامس

والفضل في اكتشاف هذه المومياات الملكية يرجع الى الاستاذين احمد افندي كمال [1] (وقد انعم عليه بالباشوية في اواخر حياته — وتوفي عام ١٩٢٣ م) واميل بروكش فانهما في يوم الاربعاء ٦ يوليو سنة ١٨٧٩ تمكنا بمعرفة محمد احمد عبد الرسول من الوصول الى ذلك الكنز في بئر عميقة بالقرب من الشيخ عبد القرنة بالاقصر . وهذه البئر تنتهي من اسفل بسرداب متعرّج وطويل ينتهي بحجرة واسعة يبلغ طولها حوالي ثمانية امتار تقريباً . واول ما وقع نظر الاستاذين كان على تابوت (نسي خونسو) ثم (سيتي الاول) ثم على كثير من اثاث المنازل وادوات الزينة وتماثيل المقابر على اختلاف انواعها ولكنها كانت بغير نظام . وتحت بصيص الشمعة تمكن العالمان من معرفة توابيت ومومياات الملك (امنحوتب الاول) و(تحوتمس الثاني) و(احمس الاول) محرر مصر من الهيكسوس و (سكنرع) شهيد الثورة القومية ضد الهيكسوس و (تحوتمس الثالث) البطل الفاتح و (رمسيس الثاني) الامبراطور العظيم ! ! ! وغيرهم ممن حكموا العالم القديم . واستمرّ فحص هذا الكنز ساعتين (راجع (Historiana History of the World) مجلد ١ ص ١٥٦)

وفي الحال اتيا بحوالي مائتين من الانفار بعمونة سعادة مدير المديرية . وبدءا في نقل تلك الآثار . وبقي احمد افندي كمال واميل بروكش يتسلمان الآثار قطعة قطعة مدة ثماني واربعين ساعة من دون ادنى راحة حتى نقلا جميع التحف . ثم بدأت مهمة نقل ذلك الكنز الى السفينة النيلية.

(١) المنتصف : والد الدكتور حسن كمال

وفي ١١ يوليو كانت هذه الآثار على شاطئ النيل بالاقصر . وكلنا نعرف مقدار التعب الذي حلّ بالقائمين بهذا العمل في حرارة شهر يوليو المحرقة بالاقصر . وفي يوم ١٤ يوليو وصلت السفينة النيلية الى الاقصر لشحن مخلفات الحفر ثم أقلعت الى بولاق . ومن ثمّ نقلت محتوياتها الى المتحف المصري وكان في بولاق وقتئذٍ

ومن ظريف ما حدثنا به الوالد انهما توجها الى الاقصر للقيام بهذا العمل اراد مقابلة سعادة مدير قنا . فنزل من السفينة هو والاستاذ اميل بروكش لهذا الغرض . وتعذّر عليهما الحصول على عربة وكان وقت الظهيرة . فتراءى لهما السير على الاقدام قسارا هذه المسافة الطويلة من النيل الى ديوان المديرية في لهيب شمس يوليو . وحدث في اثناء سيرهما ان الاستاذ (بروكش) اعترته نوبة مغص كلوي شديدة اضطر من جرائها الى الاستراحة هنيهة تحت شجرة . وكان كمال افندي وقتئذٍ يواسيه. قال هذا الاخير ولما ذهب عن (بروكش) الالم تفقد احدنا حذاءه اللامع فوجد طبقته اللامعة قد سالت وخلفت قاشاً اسوداً من شدة الحرارة !! ولما وصلا الى ديوان المديرية لمقابلة سعادة المدير علما ان سعادته في الحمام يطنيه لهيب الحر !! والقصد من سرد هذه الحكاية هنا اظهار بعض ما عاناه الاستاذان من التعب في انجاز ذلك العمل الشاق

ويتلخص السبب في تكديس مومياوات وآثار مقابر هؤلاء الملوك بعضها فوق بعض في ذلك المكان المختبيء في ان المملكة المصرية لما ضعفت سلطتها بدأت القصوص في نهب مقابر الحكام الاقدمين لخلو الكهنة على مومياوات ملوكهم وتمكنوا من حفر البئر التي تقدم ذكرها حيث واروا مومياوات حكامهم . فبقيت هذه في حرز امين الى ان تسلّمها احد افندي كمال و(اميل بروكش) وأودعاها بدار تحف بولاق . وكلنا نعرف دار التحف المصرية التي في قصر النيل الآن . اما دار التحف المصرية السابقة لها فكانت تعرف باسم دار تحف الجيزة وهي سراي المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاول حوّلت هذه الدار الى دار تحف ونقلت اليها محتويات دار تحف بولاق . وكانت هذه السراي ذات طابقين ارضي وعلوي . وكل طابق مكوّن من نحو تسعين غرفة تقريباً . ومنهُ يتضح للقارئ ان محتويات المتحف وقتئذٍ كانت كثيرة جدًّا — ولا غرابة فقد كانت حينذاك اغنى مجموعة من نوعها في العالم. وكانت تحفها مقسّمة تقسيماً علميًّا بحسب العصور من اقدم الازمنة الى العهد القبطي . وقد جاء ذكر هذا المتحف في حديث عيسى بن هشام حيث يجد الباحث العبارة الآتية ضمن عباراته عن المتحف المذكور « ولو انك عرضت اهل مصر على هذه الآثار واحداً واحداً لما استفادوا منها شيئاً ولا افادوك عنها شيئاً ولما وجدوا لها قيمة تذكر سوى التذر اليسير من المقلدين الغربيين ولم تجد بين عشرة الملايين اليوم سوى شخص واحد يفقه « لغة الطير خليف » اعني لغة آبائهم واجدادهم كما يزعم الزاعمون مع كثرة الخبيرين بها في الامم الغربية » وهو يعني بذلك المرحوم كمال باشا صبحي . اما الآن فان تلاميذ الباشا المذكور اخذوا يقيمون وزن كلامهم تحت الشمس في علم الآثار وصار لهم منزلة محترمة بين ابناء وطنهم